

السيام وليلة التقدير



بقلم الشيخ عماد مجوت

من خصائص ليلة القدر المباركة أنها مظهر لتفصيل القرآن الكريم النازل فيها؛ فالقرآن قبل نزوله مفرقا كان محكما بمعنى البساطة وعدم التفريق الذي هو شأن من شؤون عالم الدنيا، أما عنده تعالى فهو محكم بلا تفريق، كما في قوله تعالى: ﴿إِنزَالًا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ * وَإِنزَالَهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلَّيْكُمْ حَكِيمٌ ﴿الزخرف: ٣-٤﴾ . وإنما صيغ بصيغ أهل هذا العالم و فرق ليتعقله الناس ويهتدوا به : ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَعْرَفَ أَهْلَ عِلَى النَّاسِ عِلَى مَكَّةٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾

[الإسراء: ١٠٦]. فالقرآن المحكم عند الله تعالى مفرق عند الناس ليكون فرقانا لهم .

وهكذا ليلة القدر فهي تفرق الأمر الإلهي المحكم: ﴿حم﴾ * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنزَالًا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنزَالًا كُنْزًا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِنْ

عِنْدِنَا [الدخان: ١-٥]. فالأمر الإلهي أمر بسيط عند نزوله ، ولكن حال تلبسه بالتقدير يكون مفصلاً لما يخص كل إنسان بخصوصه ، من خير أو شر، وما يكون له ، أو عليه ، كما في الرواية :

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ» قَالَ: «يُقَدَّرُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ كُلُّ شَيْءٍ يَكُونُ فِي تِلْكَ اللَّيْلِ مِنْهَا مِنْ قَابِلٍ، خَيْرٌ وَشَرٌّ وَطَاعَةٌ وَمَعْصِيَةٌ وَمَوْلُودٌ وَأَجَلٌ وَرِزْقٌ، فَمَا قُدِّرَ فِي تِلْكَ اللَّيْلِ وَفُضِيَ فَهُوَ الْمَحْتَمُومُ، وَاللَّيْلَةُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ الْمَشِيئَةُ».(١).

♦ ومن التقدير في هذه الليلة مضاعفة العمل كما في الرواية، قَالَ: قُلْتُ: لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ «١»، أَيُّ شَيْءٍ عُنِيَ بِذَلِكَ؟ قَالَ: «الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا مِنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالزُّعَامِ الْخَيْرِ، خَيْرٌ مِنَ الْعَمَلِ فِي أَلْفِ شَهْرٍ لَيْسَ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ، وَلَوْ لَا مَا يُضَاعَفُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ مَا بَلَغُوا، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْحَسَنَاتِ» «٢».

♦ ولا يختص العمل الصالح بالعبادة ، بل يشمل كل طاعة كما في الرواية المتقدمة: "قَالَ: «الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا مِنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالزُّعَامِ الْخَيْرِ» ، فأصلح ذات البين، وصلة الأرحام، والعفو عن المسيء، وقضاء حوائج الإخوان، وإدخال السرور على الأهل والمؤمنين، ومدارسة العلم من أفضل أنواع الخير ، ومعنى مضاعفة العمل فيها أنه يوازي عمل ألف شهر ، ومن هنا عظم شأنها بقوله : " وما أدراك ما لَيْلَةُ الْقَدْرِ " ..؟

♦ وللدعاء مدخلة في التقدير الإلهي في هذه الليلة كما يكشف عنه مفردات بعض الأدعية من سؤال المغفرة والحج وأطالة العمر في عافية : "اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِيَّ مَا تَقْضِي وَتُقَدِّرُ مِنَ الْأَمْرِ الْمَحْتَمُومِ وَفِيَّ تَفْرُقُ مِنَ الْأَمْرِ الْحَكِيمِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَفِي

القضاء الذي لا يُردُّ ولا يُبدلُ أنْ تكْتُبِنِي مِنْ حُجَّاجِ بِيْتِكَ الحَرَامِ
المَبْرُورِ حَجُّهُمُ المَشْكُورِ سَعِيَّهُمُ المَغْفُورِ ذُنُوبُهُمُ المُكَفَّرِ عَنَّهُمُ
سَيِّئَاتُهُمْ، وَاجْعَلْ فَيَمَا تَقْضِي وَتُقَدِّرُ أَنْ تُطِيلَ عُمْرِي وَتُوسِّعَ عَلَيَّ
فِي رِزْقِي وَتَفْعَلَ بِي مَا أَنْتَ أَهْلُهُ". (٣).

♦ فلا ينبغي للمؤمن الذي يشده عالم الغيب ، ويخفق قلبه بحب الحبيب وآله صلوات الله عليهم أجمعين أن
يغفل أو يتهاون في حق هذه الليلة، فقد روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)

أنه: كَانَ يَطُورِي فِرَاشَهُ وَ يَشُدُّ مِئْزَرَهُ فِي العَشرِ الأَوَآخِرِ مِنْ شَهْرِ
رَمَضَانَ، وَ كَانَ يُوقِظُ أَهْلَهُ لَيْلَةَ ثَلَاثِ وَ عِشْرِينَ، وَ كَانَ يَرُشُّ وَجْهَهُ
النَّيَّامِ بِالمَاءِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ .

وَ كَانَتِ السَّيِّدَةُ فَاطِمَةُ (عَلَيْهَا السَّلَام) لَا تَدْعُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِهَا يَتَامُ تِلْكَ
اللَّيْلَةَ وَ تُدَاوِيهِمْ بِقِلَآةِ الطَّعَامِ، وَ تَتَأَهَّبُ لَهَا مِنَ النَّهَارِ، وَ
تَقُولُ " مَحْرُومٌ مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا " (٤) . فإذا كان الحرمان متمثلاً في خير هذه الليلة
فلا يليق بمؤمن تركها .

(٣) مفاتيح الجنان .

(٤) . بحار الأنوار : ج 94 / 10